من التراث الشعبي الكردي

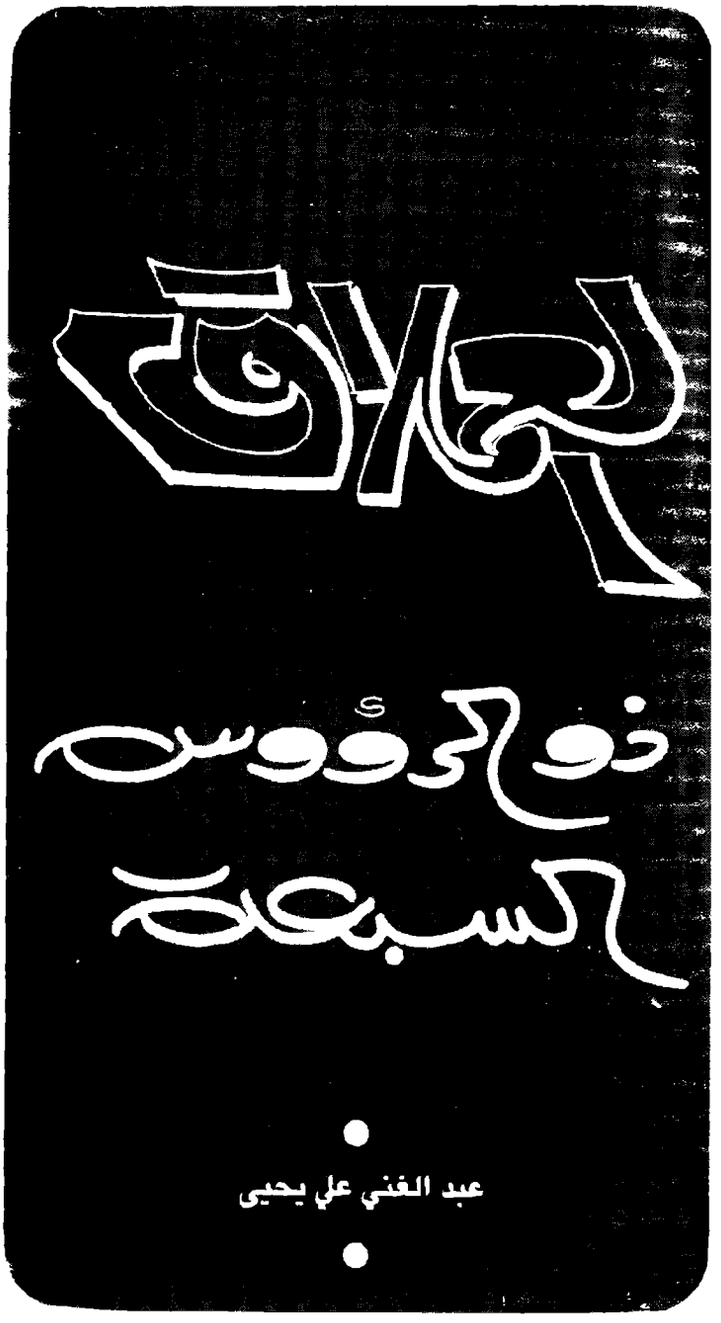

كان يا ماكان، لم يكن في الدنيا اعظم من الرحمن ولا اكذب من الشيطان، قال الراوي والعهدة عليه : أنه كان في قديم الزمان، رجل شيخ له ثلاثة من الأبناء، اثنان منهما كانا من امرأة، وكان الثالث وهو اكبرهما سناً من امرأة اخرىٰ متوفية وقد لاقىٰ هذا الأمرين من زوجة أبيه واخويه منها. وفي يـوم من الأيام داهم مرض مميت الأب العجوز وجعله طريح الفراش فنادىٰ آنذاك على ابنائه الثلاثة وجمعهم حوله وقال لهم :

- « ابنائي، لقد دنت المنية مني، ولي وصية وهي أن لا تزوروا قبري بعد موتي ».

ولما انتهىٰ من قول وصيتة، اسلم الروح إلىٰ الباري تعـالىٰ واطبق عينيه إلىٰ الأبد، ومرت أيام واسابيع وشهور علىٰ موت الأب، وانتهت تماماً مراسيم التعزية، حين انفرد الأبن الأكبر ذات يوم بنفسه وراح يفكر معها قائلاً :

«ترىٰ لماذا أوصانا المرحوم والدنا بأن لا نقترب من لحده بعد مـوته ؟ » وظل أيـاماً يفكـر ويسعىٰ لمعرفـة سر هذه الوصيـة الغامضة، واخيراً لما عجز عن الوصول إلىٰ اية نتيجة، هب واقفاً علىٰ قدميه وقرر ازالة ما اشكل وايضاح ما غمض، فأخذ سيفاً من مخلفات أبيه، وخرج قاصداً قبره.

وحل الليل عندما بلغ الفتىٰ الموضع الذي فيه قبر الأب، فوقف علىٰ مقربة من القبر وقرأ سورة الفاتحة، ثم جلس طلباً للراحة، غير أن جلسته لم تدم إلا قليلاً واذا به يرىٰ ما يشبه ضياءً ابيض ينزل من السماء بآتجاه الأرض حيث هو، ولما اقترب منه اكثر لاح له، طائراً كبيراً وهائلاً وحين دنا منه اكثر فأكثر وهو يندفع إليه كما الصاعقة، فأن الفتىٰ امتشق حسامه علىٰ عجل وضرب من الطائر عنقه ففصل بذلك رأسه عن سائر جسمه، ولشد ما تعجب، حين رأىٰ الأرض تنشق من أمامه لتبلع رأس الطائر الضخم، فارتبك وأصابته الدهشة ولم يقو علىٰ البقاء في ذلك المكان اكثر من ذلك، وقفل راجعاً إلىٰ البيت علىٰ عجل من أمره. ولما بلغه روىٰ ما جرىٰ له، لأمرأة أبيه واخويه، لكنهم لم يصدقوه بل سخروا منه

واستهزؤا به.

وفي الليلة التالية، تولدت من جديد الرغبة لدىٰ الفتىٰ الىٰ زيارة قبر والده، ودفعت به الرغبة للانطلاق، فانطلق ووصل القبر، ولم يمكث إلا برهة واذا به يشاهد ضياءً اصفر ينزل من السماء باتجاه الارض حيث هو، ولما اقترب منه اكثر لاح له طائراً كبيراً وهائلاً، ولما دنا منه اكثر فأكثر وهو يندفع إليه كما الصاعقة، فأن الفتىٰ امتشق حسامه علىٰ عجل وضرب من الطائر عنقه ففصل بذلك رأسه عن سائر جسمه، ولشد ما تعجب، فأن الارض وكما حصل بالأمس، راحت تنشق من أمامه لتبلع رأس الطائر الضخم.

وعلىٰ النقيض من حادث الأمس فأن ارتباك الفتىٰ كان اقل ودهشته كانت أخف، واعتزم أن يعود إلىٰ البيت، إلىٰ زوجة أبيه وأخويه، ولما بلغهم روىٰ ما حدث له، فقرر اخواه آنذاك ان يقطعا الشك باليقين، واعتزما ان يرافقاه إلىٰ القبر في الصباح وقالا :

ـ «فلنذهب معه لكي نقف علىٰ الحقيقة بأم أعيننا ». وفي اليوم الثالث مضىٰ الأخوة الثلاثة إلىٰ قبر والدهم وحين بلغوه، قرأوا الفاتحة، بعد ذلك رأوا من بعيد وبعد فترة ضياءً أحمر ينزل من السماء بآتجاه الارض حيث هم ولما اقترب منهم اكثر لاح لهم طائراً كبيراً وهائلاً وهو يندفع إليهم كما الصاعقة. وتعجب الاخوان كثيراً وداهمهما خوف شديد، لكن الأخ الاكبر امتشق الحسام علىٰ عجل وضرب من الطائر عنقه ففصل بذلك رأسه عن سائر جسمه، ولشد ما تعجب الاخوان، فأن الأرض، وكما حصل في اليومين الماضيين، راحت تنشق من امامهم لتبلع رأس الطائر الضخم !!

ولما وقف الأخوان الأخران على حقيقة ما جرىٰ راحا ومعهما الأخ الاكبر يتساءلان على سبب سقوط رؤوس الطيور تلك في ذلك الموضع القريب من القبر واختفائها في الأرض، قال الأخ الاكبر وكان فتىٰ باسلاً ومقداماً يعشق المغامرات واعمال الاقتحام :

ـ فلنأتي بحبل طويل نستعين به للولوج في باطن االأرض لمعرفة الاسرار الكامنة في الداخل عبر الشق :

وجاءوا بحبل طويل للغاية، وطلب الأخ الأصغر، بأن تكون الاسبقية له في الدخول الى الشق، ظاناً ومعتقداً انهيعثر على كنز دفين اذا اكتشفه فسيكون ملكاً له ولشقيقه، وطلب ايضاً ان يسحباه إلىٰ سطح الأرض حال مطالبته بذلك، وهكذا شدوا الحبل حول خصره وادلوه في الشق، إلىٰ أن غاب تدريجياً في ظلمة حالكة، ولكن لم تمضي سوىٰ دقائق علىٰ غيابه واذا بصوته ينطلق من الأعماق قائلاً :

ـ اخرجوني، من الشق، وخرج بسلام، بعد ذلك جاء دور الأخ الثاني، وحدث له ما حدث لشقيقه، وانطلق صوته من الأعماق قائلاً :

ـ اخرجوني، لأني اكاد ان احترق من شدة الحر !

وتم سحبه من الشق، وخرج بسلام ثم جاء دور لأخ الاكبر، وشدوا الحبل حول خصره وادلوه في الشق وغاب بعضاً من الوقت بيد انه حين هتف :

ـ «اخرجوني،لأني اكاد ان احترق من شدة الحر »!

فأنهما بدلاً من ان يسحباه إلىٰ ظاهر الأرض، راحا علىٰ عكس ذلك، يدليان بالحبل اكثر لكي يتخلصا منه نهائياً وينفردان بالتمتع بميراث الأب. واخذ الاكبر رغماً عنه يندفع سريعاً بآتجاه الاعماق، ولحسن حظه انه اجتاز نطاق الحر بسرعة وواجه اجواءً لطيفة منعشه، وهكذا إلىٰ ان اخترق سبع طبقات من الأرض. ولما اخترقها فأنه هبط في دنيا ثانية ووصل إلىٰ مدينة كبيرة في تلك الدنيا، خالية من الأشجار والنباتات بل والخضرة بشكل عام، كما ان التراب كان يغطي شوارعها ودورها ودروبها، لاح الجفاف في كل شئ حتىٰ علىٰ شفاه السكان. ولما كان عطشاً للغاية جراء مروره بمنطقة ساخنة في بدء رحلته، فأنه مضىٰ إلىٰ اقرب بيت إليه ودق بابه. وبعد لحظات خرجت إليه امرأة عجوز، فطلب منها ماءً، لكن المرأة العجوز اعتذرت قائلة: «يبدو انك من عالم غريب، الا تعلم بأنه لا توجد في البيت قطرة واحدة من الماء».

فتعجب الفتىٰ، وهم ان يطرق ابواباً اخرىٰ، لكن المرأة العجوز نصحته بأن يكف عن ذلك قائلة بأن المدينة كلها تعاني من العطش الشديد، وان العديد من الاطفال ماتوا من العطش، ولما سأل عن سبب شحة الماء في هذه المدينة الى هذه الدرجة المريعة قالت العجوز :

ـ لقد كانت في هذه المدينة سابقاً وفرة من الماء، غير ان عملاق ضخماً له سبعة رؤوس، احتل مصدر المياه وهو نبع كان يتدفق بالماء العذب في السابق، وحال بين المدينة ووصول الماء اليها، ثم

اشترط منحه عدداً من الفتيات الجميلات كل عام لقاء اعطائه القليل من الماء الى سكان المدينة، ومنذ اكثر من أسبوع فانه قطع الماء نهائياً عن المدينة قائلاً بأنه لن يدع الماء يتدفق إليها ما لم يزوجوه من ابنة الملك، ملك المدينة.

قال الشاب :

ـ وهل يزوجه الملك ابنته ؟

قالت العجوز :

ـ في البدء امتنع عن تلبية مطلبه، لكنه نزولاً عند ارادة الاكثرية، اذعن في النهاية، وقرر تزويج ابنته من العملاق ذو الرؤس السبعة .

ـ قال الشاب :

ـ ومتى سيزوج ابنته منه ؟

قالت العجوز :

ـ من المقرر ان تتم مراسيم الزواج عصر هذا اليوم. ولما كان بطلنا شاباً جريئاً ومقداماً، يستهوي البطولة والصراع وفعل الخير فانقاذ الناس من الدمار والخراب، فأنه امتشق حسامه بعد أن تعرف على موضع النبع بواسطة العجوز، وانطلق إلى حيث يقع النبع وهناك رأى جماهيراً غفيرة من الرجال والنسوة والاطفال حضروا لمشاهدة مراسيم زواج ابنة الملك الحسناء من العملاق، كان الحزن يخيم عليهم وهم يجلسون على مقربة من النبع فوق التلال والروابي، كانوا جميعاً صفر الوجوه من شدة الخوف والعطش في آن واحد، ولما وصل الفتى إلى الجمع قام يدفع الناس يميناً وشمالاً إلى ان شق طريقاً له بصعوبة إلى العملاق الذي كان جالساً وعند قدميه جلست مهمومة حزينة فتاة غاية في الجمال والحسن هي ابنة الملك التي زفت الى العملاق قبل دقائق من وصول الشاب الذي ما أن اقترب من النبع وادّا به يندفع قوياً كالعاصفة المدمرة إلى العملاق، فيضرب بكل ما لديه من قوة عنق العملاق ويفصل رأساً له عن جسده. واذ فصل رأسه وتدفق الدم بغزارة من موضع الجرح، فأن العملاق راح يضحك ويقهقه استهزاءً بالفتى وتخويفاً له في آن واحد. قال للفتى :

ـ لقد طار راسك ايها الاحمق، اما رأسي فأنه موجود.

وأشار الى رأس ثانٍ له، فما كان من الفتى إلا ان يعاجله بضربة ثانية قطعت ذلك الرأس أيضاً والقت به بعيداً، وعاد العملاق من جديد ليضحك ويقهقه، استهزاءً بالفتى وتخويفاً له في آن واحد قال للفتى :

ـ لقد طار رأسك ايها الاحمق اما رأسي فأنه موجود.

واشار الى رأس ثالث له، فلم يمهِ له الفتى وعاجله بضربة ثالثة قطعت ذلك الرأس ايضاً، وهكذا تكرر المشهد، ولم يعط الفتى العملاق فرصة للتحرك، وقطع الرؤوس السبعة للعملاق، وترك الاخير جثة هامدة تتمرغ في الدم والوحل عند قدمي الفتاة الجميلة واثناء ذلك تعالى الهتاف والتصفيق من قبل الجماهير وحدث صخب وجلبة وهرع الالاف من الناس والشباب منهم خاصة الى مكان الحادث بحيث كاد ان يضيع من بينهم قاتل العملاق الحقيقي لولا أن ابنة الملك لطخت كفها بدم العملاق وطبعت كفها واصابعها الملوثة بالدم قميص الفتى من ظهره.

وبعد مقتل العملاق، فأن المئات من الشباب ساروا مسرعين باتجاه قصر الملك، وكل واحد منهم يدعي بأنه قتل العملاق ذو الرؤوس السبعة، وانه احق بالمكافأة من غيره، والمكافأة في مثل هذه الحالات هي ابنة الملك وفعلاً فأن الملك اعلن بأن ابنته هي من نصيب الذي قتل العملاق فأنقذ الفتاة والشعب من خطره ودماره، ومن ينقذ شعباً فأنه يستحق بجدارة اغلى الهدايا واسمى الاوسمة. ولما نادى المنادي على قاتل العملاق، فأن مئات الاصوات هتفت في آن واحد : « أنا » .

غير أن ابنة الملك، تقدمت وقالت بأنها تعرف الذي انقذها وانقذ الشعب وقتل العملاق، وطلبت من الشباب جميعاً ان يصطفوا صفاً واحداً ويديروا ظهورهم إليها. ونظم الشباب انفسهم في صفوف طويلة. وقامت ابنة الملك باستعراضهم وأخيراً اهتدت إلى الفتى البطل منقذها ومنقذ الشعب، وتعرفت على آثار اصابعها وبصماتها الدموية المطبوعة على قميص الفتى، فأمسكت بيده واخذته إلى والدها الملك وقالت بفرح والبسمة لا تفارق شفتيها :

ـ أبتاه .. ان هذا الفتى الباسل هو منقذي ومنقذ الشعب من العملاق ذو الرؤوس السبعة وتقدم الملك من الفتى وعانقه وبارك

زواج ابنته منه، شاكراً له فضله في انقاذ ابنته وشعبه من العملاق، ثم قال له :

ـ اطلب ما تشاء وسنلبي جميع طلباتك.

قال الفتىٰ :

ـ أنا لست من اهالي هذه الدنيا، ان دنياي بعيدة عن دنياكم، عليه اطلب اعادتي الى تلك الدنيا حيث موطني، موطن ابي وجدي، والوطن كما نعلم أغلىٰ من جميع العروش والاموال. ان الوصول الى دنياي يتطلب اختراق سبع طبقات بأتجاه السماء !

واغتم الملك برهة من الوقت ثم قال :

ـ ليتنا كنا محرومين من الماء الف عام ولا نضطر الى تلبية مثل هذا المطلب الصعب..

ثم استطرد قائلاً :

ـ ومع ذلك، لا بد من تنفيذ طلبك وان اكون عند وعدي وعهدي، قم اذهب الى تلك الغابة البعيدة

ـ واشار إلىٰ غابة بعيدة بدت لناظريه كقطعة سوداء ـ وهناك تجد طائراً ضخماً للغاية. قل له بأن ينفذ أمري وينقلك وابنتي الى الدنيا فوق، حيث وطنك ووطن ابيك وجدك.

وذهب الفتىٰ مع عروسه الىٰ الغابة، ولما بلغاها وبلغا عش الطائر الضخم، رأيا ثعباناً طويلاً يسعىٰ الىٰ مهاجمة العش واكل فراخ الطائر الضخم، لكن الفتىٰ سارع وامتشق حسامه ومزق به الثعبان شر تمزيق، وحين انتهىٰ من قتل الثعبان، اقبل الطائر الضخم مرفرفاً بجناحين هائلين وعندما وقع نظره على منظر الدم بالقرب من العش، اعتقد بأن الفتىٰ هو الذي قتل فراخه، فهم بمهاجمته لولا صيحات التنبيه والتحذير التي ارتفعت من الفراخ قائلة بأن لا يتسرع فالفتىٰ منقذهم من الموت وهو الذي قتل الثعبان الذي كان على وشك ان يأكلهم.

وسر الطائر الضخم لذلك اي سرور، خصوصاً اذا علمنا، ان الثعبان ذاك كان قد اعتاد علىٰ تناول فراخه مثل وجبه دسمة كل عام. والتفت الى الفتىٰ وقال له :

ـ ان صنيعك لا يعوض، فمر ما تشاء، وسأكون رهن طلبك.

قال الفتىٰ :

ـ لقد أرسلنا الملك اليك، وهذه زوجتي ابنته، لتنقلنا الىٰ الدنيا العليا عبر اختراق سبع طبقات.

وذ وقف الطائر الضخم علىٰ جوهر طلبه، اغتم برهة من الوقت، ثم قال :

ـ ليت الثعبان كان قد تناول فراخي الف عام آخر من أن تطلب مثل هذا المطلب، ومع ذلك لا بد من تنفيذ طلبك وسأكون عند وعدي وعهدي.

وهكذا ودع الفتىٰ وزوجته الحسناء شعب وملك الدنيا السفلى الذي منحهم من ذهبه وماله الكثير، ثم امتطيا ظهر الطائر الضخم الذي حملهما مخترقاً سبع طبقات باتجاه الاعلىٰ حيث الدنيا الأخرىٰ. موطن الفتىٰ وابائه واجداده. ونسي الفتىٰ ما فعله أخواه تجاهه، فعفىٰ عنهما في قرارة نفسه. وقرر ان يعطيهما شيئاً من ماله وذهبه وبعد أن ودع وزوجته الطائر الضخم، اتجها نحو البيت إلىٰ اخويه وزوجة ابيه التي وافتها المنية اثناء غياب الفتىٰ ورحلته الىٰ الدنيا السفلىٰ، ودخل علىٰ اخويه في البيت فعانقهما وروىٰ لهما ما جرىٰ له، ووعدهما باعطائهما شيئاً من المال والذهب، لكن الطمع والحقد تمكنا من الاخوين، وبدلاً من ان يتجاوبا معه ويتخلصا من احقادهما تجاهه، فأنهما حسداه على ما ناله، وقالا له، بأن الفتاة وكل الذهب والمال الذي يملكه هو من نصيب الذي ينتصر في مبارزة مكشوفة، ولقد تأثر الفتىٰ من اعماقه اي تأثير من موقف أخويه الشائن، لكنه لما كان فتىٰ باسلاً وشجاعاً فأنه نزل عند رغبتهما مضطراً وتهيأ للمبارزة، وابتعد عنه أخواه مسافة بعد ان شهر الثلاثة سيوفهم، وهكذا دخل الفتىٰ في صراع غير متكافئ، وظن في البدء، وكان يتوسطهما، بأنه يقوم بمبارزتهما كلاً علىٰ حدة وبالتناوب، لكن اخواه قررا مهاجمته سوياً وفي آن واحد، وماهي إلا لحظة واذا بهما يندفعان إليه، من يساره ويمينه، ولما بلغاه، رفعا سيفهما وهما بضربه، لولا انه خرج بخفة من بينهما، وهكذا ضرب كل من الشقيقين شقيقه الآخر بسيفه وسقطا قتيلين في الحال، فيما ابدىٰ الفتىٰ، الاخ الأكبر لهما عميق أسفه وتأثره لما حل بهما ولما تنطوي عليه احياناً نفوس البشر من ضعة وبغض وحقد،

ولم يطل وقوفه في ذلك المكان اكثر بل مضىٰ الىٰ زوجته فآمتطيا حصاناً وسارا باتجاه الجبال والوديان الخضراء، وفي واد من وديان كردستان عاشا سوياً حياة سعيدة بطمأنينة وسلام.